الفصل الثاني

بـــــــاب النـــــــصـــــــر

obeikandl.com

بـــاب النصـــــر
(أثر رقم 7)
(480هـ/ 1087م)

يقع باب النصر في السور الشمالي للقاهرة على بعد 200 متر شرقي باب الفتوح بنفس السور، وهذا الباب أنشأه بدر الجمالي سنة 480هـ/ 1087م، وهو يقع شمال باب النصر القديم الذي أنشأه جوهر القائد سنة 358هـ/ 969م، وفي نفس محوره لمسافة 100 متر.

وعن باب النصر القديم قال المقريزي: "كان باب النصر أولاً دون موضعه اليوم، وأدركت قطعة من أحد جانبيه كانت تجاه ركن المدرسة القاصدية[1] الغربي، بحيث تكون الرحبة التي فيما بين المدرسة القاصدية، وبين بابي جامع الحاكم[2] القبليين خارج القاهرة، وكذلك نجد في أخبار الجامع الحاكمي أنه وضع خارج القاهرة، فلما كان في أيام المستنصر وقدم عليه أمير الجيوش بدر الجمالي من عكا، وتقلد وزارته وعمر سور القاهرة، نقل باب النصر من حيث وضعه القائد جوهر إلى حيث هو الآن فصار قريبًا من مصلى العيد[3]". [4]

---

(1) المدرسة القاصدية (أثر رقم 10) تقع بشارع باب النصر بالقاهرة، وهي تنسب إلى الشيخ أحمد القاصد الميافارقيني، وقد بنيت حوالي سنة 735هـ/ 1335م، وهي تعتبر أصغر مدارس القاهرة وقبتها الجميلة تعتبر كذلك أصغر قباب القاهرة، ولم يتبق منها إلا مساحة صغيرة غير منتظمة الأبعاد واتساعها 10,75 متر وعمقها 6,15 متر. انظر بالتفصيل:
رضا أحمد رمضان، الجانب الشرقي لقصبة القاهرة من السور الشمالي حتى شارع الأزهر، دكتوراه، أداب طنطا 2003م، ص165-168.

(2) جامع الحاكم بأمر الله (أثر رقم 15) أمر ببنائه أولاً الخليفة العزيز بالله ثاني الخلفاء الفاطميين بمصر في رمضان سنة 380هـ/ نوفمبر ديسمبر 990م، وقبل أن يكمل بناؤه صليت فيه الجمعة في الثالث من رمضان سنة 381هـ/ 14 نوفمبر سنة 991م، وتوفي العزيز بالله ولم يكتمل الجامع بعد، لذلك أمر الحاكم بأمر الله الذي تولى الخلافة بعد أبيه العزيز بالله بإكماله سنة 393هـ/ 1002-1003م، واكتمل وصليت به الجمعة في الخامس من رمضان سنة 403هـ/ 20 مارس 1013م، وكان هذا الجامع خارج السور الشمالي للقاهرة الذي بناه جوهر القائد، ويعتبر ثاني أكبر جامع القاهرة مساحة بعد جامع ابن طولون.

(3) مصلى العيد كان يقع شرقي القصر الفاطمي الكبير بناه جوهر لأجل صلاة العيد في رمضان سنة 358هـ، ثم حدده العزيز بالله، وقد بقي إلى زمن المقريزي (توفي 845هـ/ 1442م)، وقد اتخذ في جانب منه أيامه مصلى للأموات.
المقريزي الخطط، تحقيق أيمن فؤاد، المجلد الثاني، ص478.

(4) الخطط، المجلد الثاني، ص271.

أما عن **منشئ باب النصر** فهو أبو النجم بدر الجمالي الذي كان مملوكاً أرمنياً لجمال الدولة بن عمار لذا عرف الجمالي، وكان عنده قوة وعزم، وصار يتقدم في الخدمة حتى ولي إمارة دمشق من قبل المستنصر سنة 455هـ/ 1063م، ثم تركها في السنة التالية، ثم وليها ثانية سنة 458هـ/ 1066م، ثم تولى نيابة عكا سنة 460هـ/ 1068م، فلما كانت الشدة بمصر من شدة الغلاء وكثرة الفتن وفساد أحوال الخلافة الفاطمية، لذلك استدعاه المستنصر ليتولى تدبير الدولة، فحضر القاهرة ومعه عساكره في جمادى الأولى 465هـ/ يناير 1074م، فقبض على جميع أمراء الدولة، وقويت شوكته وعظم أمره، وقلده المستنصر وزارة السيف والقلم، فصارت القضاة والدعاة وسائر المستخدمين من تحت يده، وزيد في ألقابه "أمير الجيوش، كافل قضاة المسلمين، وهادي دعاة المؤمنين"، وتتبع المفسدين فلم يبق منهم أحداً حتى قتله.

ومات في ربيع الآخر سنة 487هـ/ مايو 1094م وقد تحكم في مصر تحكم الملوك، ولم يبق للمستنصر معه أمر، واستبدّ بالأمور، فضبطها أحسن ضبط، وكان شديد الهيبة، وافر الحرمة مخوف السطوة قتل من مصر خلائق لا يحصيها إلا خالقها، منها أنه قتل من أهل البحيرة نحو العشرين ألف إنسان إلى غير ذلك من أهل دمياط والإسكندرية، والغربية والشرقية، وبلاد الصعيد وأسوان، وأهل القاهرة ومصر، إلّا أنه عمر البلاد، وأصلحها بعد فسادها وخرابها، بإتلاف المفسدين من أهلها، وكان له يوم مات نحو الثمانين سنة،

وكانت له محاسن منها: أنه أباح الأرض للمزارعين ثلاث سنين، حتى ترفعت أحوال الفلاحين، واستغنوا في أيامه، ومنها حضور التجار إلى مصر لكثرة عدله بعد انتزاحهم منها في أيام الشدّة، ومنها كثرة كرمه، وكانت مدّة أيامه بمصر 21 سنة، وهو أوّل وزراء السيوف الذين حجروا على الخلفاء بمصر[1].

تاريخ إنشاء باب النصر:

جاء في النص التأسيسي لباب النصر تاريخ بدأ العمل في إنشاء هذا البرج وهو المحرم سنة 480هـ/ إبريل 1087م، وهذا التاريخ تكرر ذكره أيضاً في النص التأسيسي لباب الفتوح، ولم يحدد النص تاريخ الانتهاء من عمارة أي من البوابتين، وقد يستغرق بناء مثل هذه البوابات الضخمة حوالي السنة.

(1) المقريزي، الخطط، المجلد الثاني، ص276-279.

الاسم الجديد لباب النصر:

أمر بد الجمالي بنقش أسماء جديدة في النصوص التأسيسية لأبواب القاهرة في سورها الجديد الذي أنشأه، فسمي باب النصر هذا اسم "باب العز"، وباب الفتوح الجديد اسم "باب الاقبال" وباب زويلة الجديد اسم "باب السعد"، وباب البرقية اسم "باب التوفيق".

وبالرغم من إطلاق هذه الأسامي الجديدة على أبواب بدر الجمالي إلا أن الأسماء القديمة التي سماها جوهر الصقلبي ظلت حية في وجدان الناس وكتابات المؤرخين ولم يستخدم أحدهم الأسماء الجديدة ولو لمرة واحدة.

مادة بناء البوابة وأسلوب البناء:

بني باب النصر وغيره من أبواب القاهرة بالحجر الجيري، وكانت الأساسات توضع فوق طبقة من الرمال الصفراء، والأساسات عبارة عن دكة من الأحجار الضخمة، تعلوها جدران عريضة وجوهها الخارجية من أحجار مستوية بينما حشى داخلها بالدبش، وكانت المونة المستخدمة جير مع نسبة ضئيلة من الرمل والقصرمل[1].

وكانت أطوال الأحجار تتدرج في الطول من طابق لآخر، ففي الطابق السفلي من باب النصر تتراوح أطوال الأحجار بين 1,15 و1,75 متر، وفواصل حجرية بينها تتراوح بين 40 و60سم، وقد دعم هذا الطابق بسلسلة من الأعمدة المدفونة أفقياً في الصف السابع من صفوف مدابيك.

أما الطابق الأوسط فتصغر أحجاره عن الطابق الأول وتتراوح أطوالها بين 95سم، 1,25 متر، أما الطابق العلوي فتصغر أحجار صفوفه عن سابقيه وتتراوح أطوالها بين 55 و1,05 متر، مع فواصل أحجار تتراوح بين 22 و39سم، وكانت حواف هذه الأحجار مشطوفة[2].

---

(1) كريزويل (ك.1.س)، العمارة الإسلامية في مصر، (الإخشيديون والفاطميون) (939-1171)، ترجمة عبد الوهاب علوب، تعليق محمد حمزة، نشر دار القاهرة، ومكتبة زهراء الشرق بالقاهرة، الطبعة الأولى، 2004/ ص176.

(2) نفسه، ص175-176.

الوصف المعماري:

يبلغ عرض كتلة بناء بوابة (باب) النصر بأكملها المطلة على الشارع الخارجي 24,22 متراً، وعمقها – أي طولها للداخل- 20,47 متراً، وارتفاعها 20,89 متراً من أسكفة (عتبة) البوابة السفلى[1]، (شكل رقم 1).

وهذه البوابة تتكون من برجين مربعين[2] كبيرين مصمتين حتى ثلثي ارتفاعيهما ويبرزان عن سمت السور الشمالي 4,70 متر، ومن الداخل 9,93 متر، ويحتوي البرجان فيما بينهما على بوابة معقودة جميلة تتراجع بمقدار 4,54 متر عن واجهتيهما الأماميتين، ويبلغ اتساع فتحة الباب نفسها 4,76 متر وارتفاعها 6,47 متر (شكل رقم 1).

برجي باب النصر:

بني برجا البوابة المربعان في ثلاثة طوابق، الطابقان السفليان منها مصمتان، ويبلغ ارتفاع الطابق السفلي 6,61 متر إذا قيس من الحلية نصف الدائرية عند قاعدته ويزيد الارتفاع بمقدار 37 سم إذا قيس من عتبة المدخل، أما القاعدة التي في باطن الأرض فتمتد لمسافة 1,20 متر أسفل الحلبة ثم نجد طبقة من الأساس بسمك 40 سم مكونة من مداميك عشوائية ضخمة مما يشكل وزرة تمتد بما لا يقل عن 1,50 متر خلف البرجين وتحتها رمال صفراء [3].

ويتكون الطابق السفلي (أعلى الحلية) من 16 صفاً من البناء المتقن من أحجار ملساء، وتتفاوت الأحجار الأفقية من 1,15 إلى 1,75 متر بينما تتراوح الرأسية بين 40 و 60 سم، ويتميز الصف السابع بوجود سلسلة من الدوائر الحجرية تمثل رؤوس أعمدة[4]، وضعت

(1) كريزويل، العمارة الإسلامية في مصر، ص174.

(2) يعتبر باب النصر المربع ذات الزوايا القائمة أقل فائدة من الناحية الدفاعية عن بابي الفتوح وزويلة ذات الهيئة المقوسة، لأن الأبراج المقوسة تتيح رؤية أكبر للمدافعين وهو مالا تتيحه الأبراج المربعة، كما أن متانة البناء المقوس أو المستدير تفوق متانة البناء المربع، بالإضافة إلى الشكل الجمالي للأبراج المقدمة من المربعة. محمد عبد الستار، موسوعة العمارة الفاطمية، الكتاب الأول، نشر دار القاهرة، الطبعة الأولى 2006م، ص95.

(3) كريزويل، العمارة الإسلامية في مصر، ص175.

(4) ذكر أ. د. محمد عبد الستار في كتابة موسوعة العمارة الفاطمية جـ1 ص96 أن هذه الأعمدة رخامية، بينما هي أعمدة حجرية كما ذكر كريزويل.

كل منها على بعد 1,85 متر تقريباً عن الأخرى، وتجري حول الواجهات الخارجية كلها وحول جانبي المجاز المعقود وبرج السلم، بل حول سور المدينة، وتربط هذه الأعمدة بين قلب الجدار المملوء بالدبش والواجهات الخارجية المبنية من الحجارة المستوية، والدوائر الحجرية تعد على جانبي البرجين أعلى بمدماك منها على واجهاتها الأمامية، وهذا ضروري لأن الأعمدة المستعرضة توضع على قمة الأخرى، ووضع هذه الأعمدة سواء كانت حجرية أم رخامية في الجدران[1] تساعد على تدعيمه وعدم سقوطه إذا ضرب المجانيق أو غيره.

ويبلغ ارتفاع الطابق الثاني 6,77 متر حتى قمة السطح المائل وقد بني بحيث يتراجع عن الطابق الأول قليلاً، ويتكون من عشرة مداميك كلها من أحجار مستعرضة يتراوح طولها بين 95سم، و 1,25 متر وهناك سطح مائل قليلاً عرضه حوالي سنتيمتر واحد على حافة كل قالب (حجر).

وقد زوق هذا الطابق بأشكال دروع، فعلى واجهة كل برج ثلاثة دروع الأوسط منها بيضاوي الشكل بينما المحيطان به مستديران، وعلى الواجهة الجانبية لكل برج درع بيضاوي الشكل، ويوجد درعان مستديران على جانبي قمة عقد البوابة – أي في كوشتي العقد– وهذه الدروع مزينة بزخارف هندسية.

وبأعلى هذا الطابق النقش الكتابي الكوفي، وفوقه طنف (كورنيش) غريب الشكل مشطوف من أعلاه تدعمه من أسفل سلسلة من المساند (المودبلوى) الكلاسيكية الشكل، وتم تحت كل كابولي صغير على جانبه السفلي بورقة كثيفة من بنات شوكة اليهود (الأكانتس)[2]، إلا أن الأحقاق (القصع) فيما بينها مزينة بعدد من العناصر التعبيرية الصغيرة، وهكذا فإن الحافة السفلية من الطنف والمدعمة بهذه الصورة تزدان بشريط زخرفي بسيط مما يذكرنا بعنصر البيضة والقرص (السبحة والخرزة أو العقد)، وفوق هذا الجزء نجد واجهة رأسية خالية من الزخرفة بارتفاع 20سم، ثم تشطف بمقدار 50 درجة إلى أن تلتقي بواجهة الطابق الثالث[3].

(1) استخدام الفاطميون هذا الأسلوب الإنشائي الحربي من قبل في مدينة المهدية.
محمد عبد الستار، موسوعة العمارة الفاطمية، جـ1، ص96.
(2)كريزويل، العمارة الإسلامية في مصر، ص175-176.
(3) نفسه ص176.

ويبلغ ارتفاع الطابق الثالث 7,65 متر، ويتكون من 18 مدماكاً حتى الحافة السفلية من المزاغل والكوات، وكل ما يعلو ذلك هو من عمل نابليون الذي حصن القاهرة عام 1800-1801م وترك أسماء معاونيه على العديد من أبراج السور الشمالي.

وقد أزال معمار نابليون الشرافات الحجرية التي كانت تعلو البرجين، وكانت هذا الشرافات موجودة في صورة عن كتاب وصف مصر للحملة الفرنسية (لوحة رقم 1) وقد أزالها المعمار الفرنسي بعد ثورة القاهرة حيث عملت منصات لإطلاق المدافع أعلى البرجين حينئذ.

وفي هذا الطابق وضعت صفوف الأحجار الأفقية والرأسية تبادلياً بالطريقة المعتادة، ويتراوح طول الأحجار الأفقية بين 55 سم و1,05 متر، ويتراوح طول الأحجار الرأسية بين 22 و39 سم، وحواف الأحجار مشطوفة.

البوابة بين البرجين:

تتراجع البوابة عن أول البرجين إلى الخلف بمقدار متوسط 4,55 متر[1]، ويرتكز العقد الخارجي الكبير المكون من نصف دائرة قائمة على ركائز (أكتاف) حلية ناتئة، وتقع الحافة العليا للعقد أسفل النقطة التي تقطع بين الطابقين الأول والثاني من كل برج، ويحتوي العقد على حلية محدبة مزخرفة، وخرفت كل كوشة (جانب) من كوشتي العقد بشكل درع دائري خلفه سيف روماني وضع بشكل مائل والدرع مزخرف بتعبير هندسي مكون من ستة أشباه دوائر متداخلة وضعت حول شكل سداسي وفي وسطه زهرة ذات ستة بتلات[2].

ويجري الشريط الكوفي الذي يحمل التاريخ، وكذلك الطنف الكائن على قمة الطابق الثاني من الأبراج فوق الإطار المستطيل الخاص بالعقد الكبير، وفوقه مباشرة نجد عتباً ناتئاً مسطحاً من إحدى عشرة صنجة والصبخة المفتاحية أعرض من بقية الصنج، وفوقها نجد حاجز شرفة من ثلاثة مداميك تخترقها خمسة مزاغل[3].

(1) تبلغ مساقة التراجع على الجانب الغربي 4,57 متر ، وعلى الجانب الشرقي 4,53 متر بين البرجين.

(2) كريزويل، العمارة الإسلامية في مصر، ص177.

(3) نفسه.

obeikandi.com

ووضعت البوابة الأصلية بداخل العقد نسف الدائري الضخم القائم على ركائز (أكتاف) وعرضها 4,76 متر وارتفاعها 6,47 متر إذا قيست من الأسكفة (العتبة) الجرانيتية الضخمة، وحولها عتب أفقي يتكون من خمس عشرة صنجة معشقة، وفوقها نجد أول عقد عاتق أفقي في أعلاه وأدناه حسبما أصل ذلك العلامة كريزويل [1]، وهذا العقد العاتق يتكون من 17 صنجة، التسع الوسطى منها معشقة بصورة متقنة، في حين تركت الأخريات ملساء، وفوقها نجد عقداً عاتقاً ثانياً يتكون من 11 صنجة أفقية في أعلاها ومنحية في أسفلها، وتتوسط حلق هذا العقد لوحة حجرية نقشت عليها ثلاثة أسطر من كتابة دينية بالخط الكوفي يقرأ فيها شعار الشيعة "لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله علي ولي الله" (لوحة رقم 6) ونقش سطر رابع على العقد المنبطح يقرأ فيه: "صلوات الله عليها وعلى الأئمة من ذريتهما أجمعين" [2].

ثم يرتفع البناء إلى مستوى أرضية السقف الذي يعلو القطاع الداخلي من البوابة، وبين العقد الذي يتقدم أعلى فتحة الباب والبناء الذي يعلو العقد المستقيم ثم العقد العاتق يوجد فاصل به من أعلى فتحات (سقاطات) تمكن المدافعين في المستوى العلوي من المساحة المحصورة بين حجرتي البرجين من كشف من يلتصق بالبوابة فيمكن رميهم بالسهام والحراب وإسقاط السوائل الملتهبة فوق رؤوسهم وغير ذلك من وسائل القتال وتعويق المهاجمين، ثم يعلو ذلك بناء يصل بين الحجرتين اللتين في أعلى البرجين [3]. وتنتهي كتلة هذا المدخل من أعلى –من محاذاة بداية المستوى الثالث للبرجين– بسور يمتد بين حجرتي الدفاع به خمسة مزاغل للسهام يرتكز على 11 صنجة حجرية، يليه إلى الخلف قليلاً خمس فتحات لصب المواد الحارقة من السقاطة المشار إليها [4].

ويغلق فتحة باب النصر مصراعان (درفتان) يتكون كل مصراع من طبقتين من العوارض الخشبية سمك كل منهما 12,5 سم، ووضعت الطبقة الخارجية رأسياً والداخلية

(1) كريزويل، العمارة الإسلامية في مصر، ص 177.

(2) أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، الجزء الأول (العصر الفاطمي)، طبعة دار المعارف، ص26.

(3) محمد عبد الستار، موسوعة العمارة الفاطمية، جـ1، ص96-97.

(4) عاصم رزق، أطلس العمارة الإسلامية والقبطية بالقاهرة، نشر مكتبة مدبولي، 2003م، حـ1 ص491.

أفقياً، والجانب الخارجي مغطى بشرائط أفقية من الحديد يتراوح عرضها بين 8 و9 سم مثبتة بالخشب عن طريق المسامير المبرشمة، وذكر كريزويل أنه غير متأكد من كون هذين المصراعين يرجعان إلى تاريخ إنشاء البوابة وذلك لتشابهما مع بوابتين حديثتين نسبياً بالقلعة هما باب العزب الذي أعاد بناءه رضوان كتخدا سنة 1168هـ/ 1755م، والبوابة الوسطى التي بناها محمد علي وركبت فيهما أبواب بنفس الطريقة[1].

الممر المستعرض والرحبة خلف الباب:

ندخل من فتحة الباب إلى ممر مستعرض -يمتد- كما يتضح لنا في المسقط الأفقي الذي رسمه كريزويل – مسافة 2,94 متر على جانبي البرجين، وفتحته على الباب 4,76 متر وفتحته على الرحبة التالية له 5,93 متر، وهو مغطى بقبو اسطواني نصف دائري خال من الزخارف يتكون من 18 صنجة وصنجة مفتاحية مزدوجة العمق.

يلي ذلك رحبة كبيرة مستطيلة طول ضلعها الشرقي 10,77 متراً، والغربي الموازي له 10,47 متر، وفتحتها الشمالية 8,17 متر، وفتحتها الجنوبية 8,18 متراً، وهي مغطاة بقبو متقاطع كبير ينتهي بهيئة عقد نصف دائري مكون من 27 صنجة معشقة، وشكل في منتصف القبو زهرة ذات 12 بتلة، وعمل محرابان ضيقان على جانبي الممر، ويوجد مدماك ضخم منقوش بحروف هيروغليفية على الركن الأيسر العلوي من الواجهة الخلفية للبوابة[2].

وقد فتح في الجانب الشرقي للرحبة باب في عهد الحملة الفرنسية التي سيطرت على مصر (1213-1216هـ/ 1798-1801م) ونفذت بأبواب القاهرة بعض التعديلات المعمارية التي تناسب أسلحتها خاصة المدافع، وهذا الباب مثال لهذه التعديلات، ويعلو هذا الباب سقاطة بارزة على هيئة شرفة من الحجر بأرضيتها فتحات للضرب[3].

برج السلم المتصل بباب النصر:

هذا الباب يتصل بالبرج الشرقي لباب الناصر، ويدخل لهذا البرج في الجانب الجنوبي له، ويصعد إلى الباب عن طريق قلبة سلم من عشر درجات، فتحة الباب تؤدي إلى ممر صغير

(1) كريزويل، العمارة الإسلامية في مصر، ص178.

(2)كريزويل، العمارة الإسلامية في مصر، ص179.

(3) محمد عبد الستار، موسوعة العمارة الفاطمية، جـ1، ص97.

يغطيه عقدان، يلي ذلك دركاة ذات قبو اسطواني يؤدي إلى سلم حلزوني دقيق الصنع، وهو مسقوف بقبو اسطواني، وبعد صعود قلبة تتكون من سبع درجات نصل إلى بسطة ترتفع عن عتبة الباب المؤدي للبرج بحوالي 1,30 متر، ويستمر السلم الحلزوني بعدها لمسافة 24 درجة أخرى، وعند الدرجة 14 وكذلك الدرجة 19 تمر بنافذة ذات عتب مقوس، وعلى البسطة نجد بابين يؤدي إلى كل منهما إلى أحد ذراعي شرفة على شكل حرف L ومسقوفة بألواح مسطحة ترتكز على حلية ربع دائرية ضخمة تحتل الزاوية الشمالية الشرقية من البرج، وفتح بالشرفة مزاغل (فتحات) للسهام تفتح على الواجهتين الشرقية والشمالية، وبعد البسطة نجد خمس درجات أخرى لتكمل الجزء الحلزوني من السلم والذي ينتهي بعقد نصف دائري مكون من خمس صبخات وقالبين مشطوفين هما نقطتا ارتكاز العقد، ونجد عند هذه النقطة بسطة بنافذة على الجانب الجنوبي لها عتب مقوس منقوش بحروف هيروغليفية، وهناك قلبة سلم من خمس درجات أخرى بزاوية يمنى إلى الجزء الحلزوني ويغطيها قبو اسطواني وتؤدي إلى بسطة تغطيها جزئياً ثلاثة ألواح حجرية مسطحة، وهناك قلبة سلم من عشر درجات وبزاوية يمنى أيضاً ومفتوحة إلى السماء تقودنا إلى المنصة حيث سطح البرج[1].

وهذا البرج ذو السلم الحلزوني عنصر أساسي مكمل لبوابة النصر حيث أنه يمثل أقرب عنصر اتصال وحركة من مستوى الأرض في القطاع الداخلي المجاور للبوابة من داخل المدينة والقطاع العلوي من البوابة حيث يؤدي السلم إلى مستوى منصة تعلو رحبة بوابة النصر ومنها إلى الحجرة التي تعلو كل برج من برجي الباب.

ومن السلم الذي يوجد بجوار كل حجرة يصعد إلى أعلى كل منهما حيث يوجد السطح الذي يمثل مستوى ثالث أعلى لضرب العدد المهاجم للبوابة، ويلاحظ أن دروة سطح كل من الحجرتين قد حدثت فيه تعديلات خاصة في فتحات الرمي حيث وسعت الفتحات التناسب فوهات المدافع، ويوجد سلم آخر ملاصق للسور في الجهة الغربية من البرج الغربي لباب النصر من الداخل، وهذا السور من قلبتين على محور واحد ويتوصل منه إلى المنصة التي تعلو سقف رحبة المدخل إلى باب النصر.

(1)كريزويل، العمارة الإسلامية في مصر، ص179-180.

ويوجد بأرضية المنصة التي تتقدم الحجرتين اللتين تعلوان البرجين حفر غائر ربما كانت لتثبيت قوائم المنجنيق الذي كان يوضع على مثل هذه المنصة لرمي الأحجار على من يحاول الهجوم على البوابة[1].

النقوش الكتابة على باب النصر:

نقش على باب النصر شريط من الكتابات بالخط الكوفي يمثل النص التأسيسي لباب النصر، ويقع هذا الشريط أسفل الطنف (الإطار) الذي يعلوه مباشرة مستوى الحجرتين اللتين تعلوان برجي هذا الباب، ويبدأ الشريط من بداية جانب البرج الغربي ويستمر على واجهة البوابة ثم البرج الشرقي، ويبدأ الشريط بالبسملة فآية الكرسي ثم النص الإنشائي للباب على يد بدر الجمالي شاملاً ألقابه والدعاء له وتاريخ بدء العمل في البرج وهو المحرم سنة 480هـ/ أبريل سنة 1087م، والنص كاملاً هو:

"بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم. بعز الله العزيز الجبار يحاط الإسلام وتنشأ المعاقل والأسوار.. أنشأ هذا باب العز والسور المحيط بالمعزية بالقاهرة المحروسة حماها (الله) فتى مولانا وسيدنا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الأئمة الطاهرين وأبنائه الأكرمين السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر (الإمام) كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبو النجم بدر المستنصري عضد الله بن الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته الذي حصنه الله بحسن تدبيره الدولة والأنام وشمل صلاحه الخاص والعام ابتغاء ثواب الله ورضوانه وطلب فضله وإحسانه وصيانة كرسي الخلافة وازدلافاً إلى الله بحياطة ألطافه. وبدئ بعمله في محرم سنة ثمانين وأربعمائة"[2].

وبالتأمل في هذا النص نجد أنه يبتدئ بآية الكرسي وهي من الأذكار التي تتلى عقب الصلاة الخمسة، وتعتبر من الآيات المحصنة من الشرور عند المسلمين كافة سواء كانوا سُنة

(1) محمد عبد الستار، موسوعة العمارة الفاطمية، جـ1، ص99-100.
(2) أيمن فؤاد سيد، تحقيقه للخطط، المجلد الثاني، ص272.

أو شيعة، وتضمن النص الاسم الجديد الذي أطلقه بدر الجمالي على باب النصر وهو "باب العز"، وتضمن إطلاق اسم المعزية القاهرة المحروسة " على مدينة القاهرة، كما تضمن النص مجموعة من الألقاب والوظائف التي شغلها بدر الجمالي التي تبين كفاءته في إدارة شئون الدولة والمحافظة على الخلافة الفاطمية، وتضمن النص تاريخ بداية العمل في الأسوار المحيطة بالقاهرة وهو محرم سنة 480هـ/ أبريل 1087م بدءاً من باب النصر بالسور الشمالي للقاهرة، وهذا السور هو المواجه لكل الغزوات على القاهرة.

ويوجد نص فاطمي آخر سبق أن أشار غليه المقريزي[1]، يقع فوق فتحة الباب وأسفل النص التأسيسي داخل إطار مستطيل مكون من أربعة أسطر بالخط الكوفي البارز والسطر الرابع خارج الإطار، ونصها: "بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله علي ولي الله صلى الله عليهما وعلى الأئمة من ذريتهما أجمعين".

المرسوم المملوكي:

نقش على الحجر مرسوم مملوكي بالخط الثلث على الجانب الشرقي للبرج الغربي على يمين الداخل من الممر المكشوف المحصور بين البروزين الخارجين للبرجين، ونص المرسوم هو: "بحسب ما رسم نائب السلطنة المعظمة المعز العالي سودون من عراقة الجمال بأن يؤخذ على كل حمل خمسة وملعون من يأخذ أكثر من ذلك أو يحدث مظلمة في أيام الدولة العلية".

وسودون نائب السلطنة هذا هو سودون الشيخوني نائب السلطنة أيام السلطان الملك الظاهر برقوق، وقد ولاه برقوق نيابة السلطنة يوم تولي العرش في يوم الأربعاء 19 رمضان سنة 784هـ/ 26 نوفمبر 1382م واستمر نائباً للسلطنة حتى طلب إعفائه منها في صفر سنة 797هـ/ ديسمبر 1394م، وقد توفي بالقاهرة في يوم الثلاثاء 5 جمادى الأولى سنة 798هـ[2]/ 15 فبراير 1396م، وعلى هذا فإن تاريخ إصدار المرسوم يقع في المدة بين توليه النيابة

(1) الخطط، المجلد الثاني، ص271.

(2) المرسوم هو أمر يصدر من السلطان أو من ينوب عنه من الأمراء والولاة والقضاة ينادي به في المدن والقرى، وقد تنقش مثل هذه المراسيم على أبواب المدن أو أبواب المساجد الجامعة أو المنشآت العامة الأخرى كالبيمارستانات (المستشفيات) وغيرها، خصوصاً أن هذه المواضع يمر من عليها العامة بكثافة عالية، ولذلك استخدمت كمواضع للإعلام والإعلان.
محمد عبد الستار، موسوعة العمارة الفاطمية، جـ1، ص93-94.

وإعفائه منها، وينص المرسوم على أخذ ضريبة قدرها الخمس من حمولة كل جمل يدخل القاهرة من البرسيم أو التبن أو ما شابه [1].

ويبدو أن باب النصر وشارع الجمالية كان مخصصاً لدخول البضائع بينما احترم باب الفتوح والشارع الأعظم لمرور المواكب السلطانية به ووقع منشآت السلاطين على جانبيه.

الكرة الحديدية المعلقة بباب النصر:

ومن الجدير بالذكر هنا هو وجود كرة حديدية مثبتة في قضيب حديدي طوله متر يتدلى من أعلى عقد باب النصر من الجهة الغربية، وقد اختلف الباحثون في تفسير هذه الظاهرة، فقد ذكر العلامة كريزويل أن هذه الظاهرة قد تكررت في عدد من بوابات المدن والقلاع مثل باب زويلة بالقاهرة وبوابة خربوط بديار بكر حيث علقت هراوات وبلط وكرات حديدية وقضبان شائكة وغيرها، ورأى أن هذه الأدوات المذكورة ليست أسلحة بل أدوات رياضية ضخمة كتلك التي يستخدمها الرياضيون[2]، بينما يرى أستاذنا د. محمد عبد الستار أن مثل هذه الأدوات كانت تستخدم في مقاومة العدو الذي يحاول تسلق الأسوار بالسلالم[3].

الباشورة التي كانت تتقدم باب النصر:

ذكر المقريزي أنه كان يتقدم باب النصر باشورة أدرك بعضها إلى أن احتفرت أخت الملك الظاهر برقوق الصهريج السبيل تجاه باب النصر فهُدمت وأقامت السبيل مكانه[4].

والباشورة عبارة عن بناء يقام أمام الباب ليجعل المرور من فتحة الباب في هيئة منكسرة ويمنع الدخول مباشرة من فتحة الباب[5].

---

(1) المقريزي، السلوك حـ3 ص865؛ أبو المحاسن، المنهل الصافي حـ6 ص104-109؛ ابن إياس، بدائع الزهور، حـ1، ص321.

(2) كريزويل، العمارة الإسلامية في مصر، ص178.

(3) محمد عبد الستار، موسوعة العمارة الفاطمية، جـ1، ص100.

(4) الخطط، المجلد الثاني، ص271.

(5) ذكر أ. د. "محمد عبد الستار" أن بناء الباشورة على هذا النحو جزء من التخطيط الحربي للبوابات في أسوار المدن هدفه عرقلة العدو واضطراره إلى الانعطاف يساراً عند الدخول في الفتحة الجانبية لتكشف يمين المهاجمين الحاملة لأدوات الحرب التي يقاتلون بها دون الدروع التي تكون في يسراهم فيسهل إصابتهم، كما=

انطباعات الرحالة:

أبدى الرحالة الدانمركي كارسن نيبور إعجابه الشديد ببوابات القاهرة بقوله: "تعد بوابات القاهرة الثلاث – باب النصر وباب الفتوح وباب زويلة- الجزء المعاصر لها من السور ضمن روائع العمارة العسكرية الإسلامية، فهي بوابات لا مثيل لها، والسور بأبراجه لا يفوقه في العالم الإسلامي إلا نظيره بديار بكر[1]".

وقال كريزويل: "وقد بلغ بناء المجموعة كلها درجة من الكمال لم تتكرر في مصر، فحظيت البوابات بإعجاب رحالة القرن الثامن عشر ممن نشأوا على تقاليد الكلاسيكية فيقول ميليه[2] عن باب الفتوح: "لم أر بوابة على هذه الدرجة من الروعة المعمارية والقدم التاريخي والكمال الفني"، كما يشير إلى باب النصر أيضاً لكنه يقول إنه: "لا يقارن بباب الفتوح"، ويبدي الرحالة دهشته من بنائه بهذه القوة "بلا أعمدة ولا دعامات[3]"، كما يبدي موريس إعجابه بـ "سماته الطبيعية وجمال أبراجه وزخارفه وبساطته ورقته[4]".

=أن وجود هذا البناء أمام الباب يساعد على حماية مصراعي الباب من ضربات المناجيق إلى حد كبير، هذا بالإضافة إلى ما كان يعلق أمام هذه الأبواب من أنواع سميكة من المنسوجات تمتص أحجار المناجيق، ويبدو أن هذا الأسلوب لحماية باب النصر قد استخدم بدلالة وجود مواضع بارزة في جانبي البرجين من أعلى تساعد على تعليق هذه النوعية من المنسوجات السمكية.
محمد عبد الستار، موسوعة العمارة الفاطمية، جـ1، ص91.

(1) ذكر كريزويل هذا الكلام نقلاً عن الرحالة الدنمراكي كارسن نيبور المتوفي سنة 1815م وتسمى رحلته: "رحلة إلى بلاد العرب وما حولها 1761-1767م"، وقد ترجم الجزء الأول وعنوانه: "رحلة إلى مصر 1761-1762م" من قتل مصطفى ماهر، ونشر بالقاهرة سنة 1974، وهي من الرحلات الهامة من أواخر القرن 18م واستفادت منها الحملة الفرنسية على مصر كثيراً.
كريزويل، العمارة الإسلامية في مصر، ص173، 381.

(2) كان بينودي ميليه القنصل الفرنسي المقيم في مصر 16 عاماً من 1692م إلى 1708م، وقام الراهب إلى ماسكريه بنشر مذكرات وملاحظات فعلية عن مصر في عام 1935م باسم "وصف مصر" وهو الاسم الذي اقتبسه علماء الحملة الفرنسية بعد ذلك، لدراسة العمارة الإسلامية وأوضاعها في تلك الفترة.
محمد حمزة، تعليقه على كتاب كريزويل "العمارة الإسلامية في مصر" ص388.

(3) كريزويل، العمارة الإسلامية في مصر، ص173.

(4)

Relation historique d" un voyage a Jerusalim, 134.

أما جومار[1] فيرجح باب النصر ويقول: "أن باب النصر هو أعظم آثار القاهرة من ناحيته الذوق والطراز ومن الخطأ أن نقدم باب الفتوح على هذا البناء"[2]، وكذلك كان رأي كل من كوست[3]، وبرس دافين[4].

ويعود كريزويل لتعليق مؤرخ من العصور الوسطى هو المقريزي فيقول: ولم تكن شهرة هذه البوابات في الشرق في عصوره الوسطى تقل عن شرتها في العصور الحديثة [5]؛ إذ يحدثنا المقريزي فيقول: "وقد أخبرني من طاف البلاد ورأى مدن الشرق أنه لم يشاهد في مدينة من المدائن عظم باب زويلة ولا يرى مثل مئذنتيه اللتين عن جانبيه[6]".

(1) هو آدم فرانسوا جومار، مهندس وجغرافي وأثري فرنسي ولد في فرساي بفرنسا عام 1777م، وكان أحد أعضاء البعثة العلمية التي صاحبت الحملة الفرنسية على مصر 1798-1801م، وعضو بالمعهد العلمي المصري 1799- 1801م، وأشهر ما كتبه كتاب "وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل" ضمن كتاب "وصف مصر".

(2) جومار، وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، ترجمة أيمن فؤاد سيد، نشر مكتبة مدبولي، ص164.

(3) هو المهندس الفرنسي باسكال كوست، وكان قد قدم إلى مصر في عهد محمد علي، ومكث فيها عشرة أعوام فيما بين 1817 و1827م، وألف كتاباً يسمى: "العمارة العربية" أو "آثار القاهرة" (1837-1839م)، وهو بالفرنسية، وقد سجل فيه أروع اللوحات المحفورة والرسوم الملونة بأمانة شديدة، ودقة متناقية.

(4) بريس دافن: مهندس فرنسي جاء إلى مصر عام 1829م، وعمل في عدة وظائف وتكلم اللغة العربية ولهجاتها وتجويدها، ثم اعتنق الإسلام، وتسمى إدريس أفندي، ومكث في مصر 17 عاماً، ومن أهم كتبه وأشهرها كتابه "الفن العربي من واقع آثار القاهرة من القرن السابع إلى نهاية القرن الثامن عشر" وهو بالفرنسية.

محمد حمزة، تعليق على كتاب كريزويل "العمارة الإسلامية في مصر"، ص389.

(5) العمارة الإسلامية في مصر، ص173.

(6) الخطط، تحقيق أيمن فؤاد، المجلد الثاني، ص270.

obeikandl.com

الشنق على باب النصر

لما كان هذا الباب وغيره من أبواب القاهرة وقناطرها التي على خلجانها تعتبر أكثر الأماكن ارتياداً من الناس، فقد عمد سلاطين المماليك بث الرعب في قلوب الناس للسيطرة الكاملة عليهم، وذلك عن طريق شنق وتعليق رؤوس وأبدان أعدائهم الخارجيين، وأيضاً الخارجين عن طاعتهم والمناوئين لهم من الأمراء والمماليك والعربان، وكذلك أصحاب الجرائم من عامة الناس، تعلق تلك الرؤوس والأبدان على الأبواب والقناطر لتكون عبرة لمن يعتبر.

ومن الحالات التي حصرها المؤرخ ابن إياس في العصر المملوكي هو صلب شخص يسمى ابن الكازروني على باب النصر في نصف شعبان سنة 664هـ/ 22 مايو 1266م، وكان سبب صلب هذا الرجل من الغرائب، وذلك أن مصر مرت في هذه السنة بمجاعة ووباء، وفي السنوات التي تمر بها مصر بمثل هذه الأزمات يعمد السلاطين إلى محاربة المنكرات التي ينهى عنها الشرع الشريف، وكان ذنب ابن الكازروني هذا لا يرقى إلى الصلب وإنما الجلد، إذا كانت تهمته السكر، فأشهره والي الشرطة في القاهرة، وعلقوا الجرة والقدح في عنقه ثم صلبوه على باب النصر، فلما عاين أرباب الخلاعة ما جرى له أذعنوا بالسمع والطاعة، وفي ذلك يقول ابن دانيال:

لقد كان حد السكر من قبل صلبه خفيف الأذى إذ كان في شرعنا جلدا

فلما بدا المصلوب قلت لصاحبي ألا تب فإن الحد قد جاوز الحدا[1]

وفي جمادى الآخرة سنة 775هـ/ نوفمبر- ديسمبر 1373م، رسم (أمر) السلطان بشنق امرأة يقال لها الخناقة هي وزوجها، إذ كانت تخطف هي وزوجها أولاد الناس الصغار وتخنقهم وتأخذ ما عليهم من الأثواب الفاخرة، فشنقاً على باب النصر، وكان ذلك اليوم مشهوداً في اجتماع الناس فيه بسبب الفرحة عليها لما شنقا[2].

وفي شعبان سنة 822هـ/ أغسطس- سبتمبر 1419م أرسل الصارمي إبراهيم ابن السلطان المؤيد شيخ رأس مصطفى ابن قرمان الذي كان أظهر العصيان في ملطية، فأمر السلطان بأن تعلق على باب النصر[3].

(1) بدائع الزهور، جـ1 ق1، ص326.
(2) بدائع الزهور، جـ1 ق1، ص128.
(3) بدائع الزهور ، حـ2، ص49.

وفي حادي عشر ربيع الأول سنة 827هـ/ 12 فبراير 1424م وصلت رأس قاني بك البيجاسي نائب الشام الذي خرج عن الطاعة، فعلقت على رأس باب النصر[1].

وفي أيام السلطان الناصر محمد بن قايتباي، في شهر رمضان سنة 903هـ/ أبريل- مايو 1498م، قبض على إنسان زعموا أنه ينبش القبور على الموتى ويسرق أكفانهم، فأمر السلطان بسلخ وجهه وهو حي، فسلخوه من حد رقبته وأرخوه على صدره، وصار عظم رأسه ظاهر، فطافوا به في القاهرة ثم علقوه على باب النصر واستمر معلقاً إلى أن مات[2].

وفي ربيع الأول سنة 913هـ يوليو 1705م أمر الغوري بشنق أحمد بن مهنا شيخ بني وائل، فسمروه هو وأقاربه وطافوا بهم القاهرة ثم شنقوه على باب النصر، وكان من شرار العربان، وقد كان مسجوناً فكسر قيده وقتل سجانه وهرب، فلما قبض عليه شنق[3].

وفي إطار الصراع بين الشاه إسماعيل مؤسس الدولة الصفوية بفارس (إيران) وبين السلطان الغوري سلطان دولة المماليك، قتل نائب سيس التابع للغوري عشرة عساكر من عسكر الشاه وأرسلهم إلى القاهرة، فلما عرضوا على السلطان الغوري أمر بإشهارهم على رماح فأشهروهم في القاهرة ثم علقوهم على باب النصر وباب الفتوح يوم الخميس 18 ربيع الأول سنة 918هـ[4]/ 3 يونية 1512م.

وفي ذي الحجة سنة 922هـ/ يناير 1517م حاولت امرأة من التركمان تخفت في زي رجل قتل السلطان طومان باي، فعلقوها بباب النصر[5].

وفي أوائل الحكم العثماني لمصر أمر خاير بك ملك الأمراء بشنق عشرة رجال من جماعة عبد الدائم بن بقر شيخ العربان، وكانوا يفسدون في الأرض، فشنقوا وعلقوا في أماكن شتى من القاهرة وبعضهم في باب النصر، في شوال سنة 924هـ[6]/ أكتوبر 1518م.

(1) بدائع الزهور ، ص91؛ السلوك جـ4 ص659.
(2) بدائع الزهور، جـ3، ص391.
(3) بدائع الزهور، جـ4، ص128.
(4) بدائع الزهور، جـ4، ص262.
(5) بدائع الزهور، جـ5، ص143.
(6) بدائع الزهور، جـ 5، ص278.

وفي يوم الأربعاء 21 ربيع الأول 925هـ/ 23 مارس 1519م علقت رأس حسن بن مرعي ورأس أخيه شكر على باب النصر، وابن مرعي هذا هو الذي سلم السلطان طومان باي للسلطان سليم، وقد روى ابن إياس بخصوص ذلك: "في يوم الثلاثاء 20 ربيع أول 925هـ/ 22 مارس 1519م قدمت الأخبار من الغربية بأن إينال السيفي طراباي كاشف الغربية قد احتال على حسن بن مرعي وأخيه شكر مشايخ الغربية، وهما اللذان كانا سببا لمسك السلطان طومان باي، فعزم إينال على حسن ابن مرعي وأخيه شكر في مكان بالقرب من سنهور، فأتوا إليه وأركنوا له وظنوا أن ذنبهما قد نُسي فلما أقاما عنده ذلك اليوم مد لهما مدة حفلة، ثم بعد ذلك أحضر لهما سفرة الشراب، فلما شربا ودخل السكر في رؤسهما، هجم عليهما جماعة من المماليك الجراكسة ممن كان عند إينال، فعاجلوا حسن وشكر بالحسام قبل الكلام، فقطعوا رؤوسهما واشتفوا منهما، حتى قيل إن بعض المماليك الجراكسة شرب من دمهما، وبعضهم جزل لحومهما بالسيف، والمجازاة من جنس العمل وكما تدين تدان.

وفي يوم الأربعاء حضر إلى القاهرة رأس حسن ابن مرعي ورأس شكر فرسم ملك الأمراء للوالي بأن يعلقوهما على باب النصر، وقيل إن رأس حسن بن مرعي لما دخلوا بها وبرأس شكر علقوهما في رقبة فرس السلطان طومان باي الذي كان راكباً عليها لما قبضوا عليه في تروجة، فصودف أن هذا الفرس كان تحت حسن بن مرعي لما أتى إلى إينال، فعد ذلك من النوادر الغريبة.

وقيل إن عيال السلطان طومان باي لما علقوا رأس حسن وشكر على باب النصر، أظهروا في ذلك اليوم الفرح والسرور، وأطلقوا الزغاريت وتحلقوا بالزعفران، وأشيع أن أخا حسن بن مرعي كان مختفياً بالقاهرة لما قتل أخواه، فغمز عليه، فقبضوا عليه من بيت بعض أصحابه[1].

وفي يوم الثلاثاء 13 شعبان 925هـ/ 9 أغسطس 1519م أمر ملك الأمراء بشنق سبعة أنفار من الكمولية وهي إحدى طرائف الحامية العثمانية على مصر، فشنق منهم ستة أنفار على شجرة النبق التي عند مدرسة السلطان حسن، والأخير شنق على باب النصر، وكانت هذه الطائفة ومعها بعض طائفة السباهية قد ثاروا ضد ملك الأمراء يطلبون رواتبهم لثلاثة أشهر

(1) بدائع الزهور، ج5، ص295-296.

والعودة إلى اسطنبول، فلما رفض ثاروا بالميدان تحت القلعة وقتلوا الأمير يخشباي كاشف البهنسا[1].

وفي ذي الحجة 927هـ/ نوفمبر 1521م قتل نائب جدة كل من اسكندر أحد مماليك الغوري الذي تغلب على بعض مدن اليمن ووزيره ودواداره وأرسل رؤوسهم إلى ملك الأمراء فعلقها على باب النصر[2].

(1) بدائع الزهور، ج5، ص306، 309.

(2) بدائع الزهور، ج5، ص415.

obeikandl.com

obeikandl.com